المرتكزات العقائدية والفكرية لحركة طالبان

The ideological and ideological foundations of the Taliban movement

م.م.هبة علي حسين* أ.د. ابتسام محمد عبد العامري
Hiba Ali Hussein Prof.Dr. Ibtisam Mohamed AL-mri

الملخص

إن جذور حركة طالبان الفكرية والعقائدية والاجتماعية لا تختلف عن التيارات المتشددة والمحافظة في العالم الإسلامي اذ ترتكز هذه الحركة على العلوم التراثية وليس العلوم التجريبية والمدنية، وتركيبتها المجتمعية متشددة ومحافظة خاصة في المسائل المتعلقة بالمرأة، وتقوم على الهرمية المبنية على درجة العلم الديني والشرعي ويحظى علمائهم بسلطة ونفوذ كبير في قلوب اتباعهم ويتميز بنيانهم المعرفي بالتماسك والسيولة في الفكرة والصلابة، فضلاً عن تشدد هذه الحركة الاجتماعي فهي تتميز بالقبلية ذات اللغة والثقافة الواحدة.

وهناك العديد من الآراء حول نشأة حركة طالبان تلك الحركة الاصولية المتشددة التي تأثرت بالفكر الديوبندي، اذ ينتمي اغلب عناصرها الى القومية البشتونية، كان هدف هذه الحركة في بداية نشأتها إقامة امارة إسلامية في أفغانستان وتطبيق الشريعة الإسلامية والقضاء على الفساد وتحقيق الأمن والاستقرار، لكن سرعان ما تطورت هذه الأهداف من اهداف محلية الى اهداف إقليمية ودولية.

الكلمات المفتاحية: حركة طالبان، المرتكزات العقائدية، الهيكل التنظيمي، أفغانستان.

* hibaali431@gmail.com

Abstract

The intellectual, ideological, and social roots of the Taliban movement do not differ from the extremist and conservative currents in the Islamic world, as this movement is based on heritage sciences, not experimental and civil sciences, and its societal structure is strict and conservative, especially in issues related to women, and is based on a hierarchy based on the degree of religious and legal science, and their scholars have the authority And a great influence in the hearts of their followers. Their knowledge structure is characterized by cohesion, fluidity of idea and solidity, in addition to the strictness of this social movement, as it is characterized by tribalism with a single language and culture.

There are many opinions about the emergence of the Taliban movement, that radical fundamentalist movement that was influenced by the Deobandi thought, as most of its elements belong to the Pashtun nationalism. These goals evolved from local goals to regional and international goals.

Keywords: Taliban movement, ideological foundations, organizational structure, Afghanistan.

المقدمة

ظهرت حركة طالبان كقوة جديدة في عام ١٩٩٤ على الساحة الأفغانية، وكان ظهورها يحمل الكثير من الآثار على مجريات الاحداث في الدولة الأفغانية اذ جعلت هذه الحركة الأطراف المتصارعة تُعيد حساباتها، واثار ظهورها المفاجئ العديد من التساؤلات حول ماهية هذه الحركة وكيف نشأة والأسباب الدافعة لظهورها وأهدافها، وأصبحت طالبان نتيجة للانتصارات السريعة التي حققتها حكومة جديدة وقوة رئيسية على الساحة الأفغانية، تميزت هذه الحكومة بالتعصب والتشدد حتى عام ٢٠٠١ وذلك عندما قامت القاعدة بضرب أبراج التجارة العالمية في نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، لذلك شنت الولايات المتحدة الامريكية حرباً على

أفغانستان لإيوائها زعيم القاعدة المسؤول عن هذه التفجيرات، واستمر الاحتلال الأمريكي عشرين عاماً حتى تم التفاوض بين الطرفين الذي انتهى بانسحاب القوات الامريكية من أفغانستان في آب ٢٠٢١، وسرعان ما عاودت طالبان فرض سيطرتها على كابول وباقي الأراضي الأفغانية.

إشكالية الدراسة: يحاول الباحث معالجة إشكالية البحث من خلال الإجابة على عدة تساؤلات وهي:

١- ماهي حركة طالبان؟

٢- كيف نشأة هذه الحركة؟

٣- ما هو الهيكل التنظيمي لطالبان؟

٤- ماهي المرتكزات العقائدية التي تقوم عليها؟

فرضية الدراسة: تنطلق الدراسة من فرضية مفادها (تتركز الأيديولوجية التي تتبعها حركة طالبان على التعليم الديني التقليدي، وللقيم القبلية البشتونية والبيئة الجبلية القاسية الدورا الكبير في التأثير على السلوك العملي والسياسي لطالبان).

منهجية الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج التحليلي النظمي والمنهج التاريخي من اجل معرفة كيفية نشأة حركة طالبان والمرتكزات العقائدية التي قامت عليها.

هيكلية الدراسة: تم تقسيم الدراسة الى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: نشأة حركة طالبان

المحور الثاني: هيكل الحركة التنظيمي

المحور الثالث: المرتكزات العقائدية لحركة طالبان

المحور الأول

نشأة حركة طالبان

طالبان هي جمع لكلمة طالب وبالتحديد طالب العلم الديني في اللغة الفارسية، وذلك لتأثر اللغة البشتونية باللغة الفارسية التي تضيف لجمع الكلمات الألف والنون على نحو يعادل المثنى باللغة العربية [١].

تُعد حركة طالبان حركة دينية ينتمي افرادها الى القومية البشتونية، ويُعد تنفيذ الاحكام الشرعية لدى هذه الحركة واجباً دينياً لابد من تنفيذه، واثناء دراسة الطالب في المدارس الدينية تتغير مرتبته العلمية من مرحلة الى أخرى، اذ يطلق لفظ (طالب) على من يدخل المدرسة ويبدأ التحصيل العلمي ومن ثم لفظ (الملا) على من قطع شوطاً من التعليم والمنهج لكنه لم ينهي تعليمه، اما لفظ (مولوي) فيطلق على من أكمل المنهج وتخرج من دورة الحديث وحصل على إجازة التدريس وكذلك وضعت على رأسه العمامة [٢].

تعددت الروايات حول نشأة حركة طالبان والظروف التي عملت على ولادتها، الا إن هناك اتفاق حول إن الحركة نشأة من رحم المجتمع الافغاني وذلك بجهود ذاتية من قبل طلاب المدارس الدينية في تموز من عام ١٩٩٤ في ولاية قندهار التي تقع في جنوب أفغانستان، و يعتقد إن اسم الحركة قد ظهر إعلامياً في تشرين الثاني عام ١٩٩٤ وذلك عندما قامت مجموعة من طلاب المدارس الدينية بنجدة قافلة باكستانية تعرضت للنهب على الحدود مع باكستان، ومنها بدأت بالزحف الى باقي المناطق الجنوبية الأفغانية، ويعتقد بإن ارتباط الحركة بالاستخبارات الباكستانية أو بالجهات الغربية قد جاء بعد ظهورها للعلن [٣]. واجمع كل من أرخ تاريخ الحركة ان ظهورها الحقيقي كان في عام ١٩٩٤، بعد تفشي الفساد والقضايا الأخلاقية السيئة في المجتمع خاصة من قبل زعماء الفصائل الجهادية التي كانت تستولي على السلطة آنذاك، فلم يكن أحد يأمن على نفسه وأهله في ذلك الوقت، لذلك قام الملا محمد عمر [*] بالتجمع مع بعض من طلبة المدارس الدينية من اجل الثورة على هذا الواقع [٤]. وذلك عندما حاولت مجموعة من البشتون إعادة النظام الى الدولة الأفغانية بعدما مزقتها الحروب والنزاعات على السلطة من قبل فصائل المجاهدين الذين كانوا قد عاثوا بأفغانستان فساداً وفوضى [٥].

ويشير الكاتب والمفكر الإسلامي المصري (فهمي هويدي) من خلال رحلته الى افغانستان الى ان نشأة حركة طالبان بالرغم من كثرة الذين تحدثوا عنها وركزوا على الدور الخارجي لميلادها، بين من ينسبها الى باكستان والمخابرات الأميركية، وبين من

يرى انهم ساعدوا في صعودها ودعمها، لكن الداخل الافغاني يتحفظون على فكرة ارجاع نشأة طالبان الى باكستان والمخابرات الامريكية، ويرى هويدي إن الحركة ولدت من رحم الواقع الافغاني، فهو يقول حتى لو كانت العوامل الخارجية قد أسهمت في نشأة هذه الحركة الا انها ما كانت ممكن أن تظهر لو لا وجود جذور لها في الأساس في المجتمع الافغاني(٦).

اوضح السفير الأفغاني لدى باكستان (عبد السلام ضعيف) في مذكراته إن هناك مفهوم خاطئ حول بداية نشأة الحركة والشائع في عام ١٩٩٤، اذ يقول بإن حركة طالبان كانت موجودة قبل هذا التاريخ بسنوات كثيرة كتيار ديني علمي وتنتشر بشكل كبير في المناطق الريفية في أفغانستان، ومن ثم تشكل من هذا التيار مجموعات مقاتلة من العلماء وطلبة العلوم الدينية للجهاد ضد السوفييت (٧).

ظهور الحركة كان قد شابهُ نوع من الغموض اذ تناقلت الصحف الباكستانية انباء عن انقاذ قافلة باكستانية على يد مجموعة من طلبة المدارس الدينية الشرعية ومن ثم استمرت عمليات الاستيلاء على الأراضي الأفغانية من قبل حركة طالبان، وبحلول عام ١٩٩٥ استطاعت السيطرة على ثلث الأراضي الأفغانية وأصبحت قواتها على مشارف كابل العاصمة التي دخلتها في أيلول من عام ١٩٩٦ واعتقلت رئيس الحكومة نجيب الله وأخيه وقامت بإعدامهم في شوارع كابل علناً (٨).

وتجدر الاشارة الى إن حركة طالبان عرفت كحركة دينية في بداية نشأتها مثلها مثل الوهابية، أي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وركزت على الثورة ومحاربة المنكرات والفساد الذي انتشر في المجتمع الافغاني جراء السياسات المتبعة من قبل الحكومة والقائمين على السلطة (٩).

تم مبايعة الملا محمد عمر مجاهد اميراً للحركة عام ١٩٩٤ وتعهدت طالبان بالعمل على استعادة الأمن والاستقرار وإزالة نقاط التفتيش التي كانت على الطرق العامة وجمع الإتاوات، فضلاً عن السعي لتطبيق الشريعة الإسلامية وفق الأسس التي تم تعلمها من المدارس الدينية، لذلك انطلقت الحركة باتجاه الحدود مع الدولة الباكستانية وبالتحديد

منطقة سبين بلدك التي تشكل شريان أساسي للحياة بين قندهار وكوتيا الباكستانية، اذ تمر من خلال هذا الطريق مئات الشاحنات التي تكون محملة بالبضائع المتنوعة متجهه نحو هيرات غرباً وطريق التجارة مع جمهوريات اسيا الوسطى، اذ تمكنت طالبان من السيطرة على هذا المعبر الحيوي و المهم وجعله ممراً للإمدادات الاستراتيجية الخاصة بها من الدولة الباكستانية(١٠).

ولقد عرفت حركة طالبان بالبساطة وذلك للخلفية القروية لزعمائها وعدم تعمقهم بالعلوم العصرية وربما حتى الإسلامية منها، فضلاً عن عدم اختلاطهم بالعالم الخارجي، اذ تم تركيزهم على علوم الآلة والحديث وعدم تطبيق ذلك على الواقع المعاصر، كذلك فإن أكثر زعماء الحركة يتميزون بالخلفية المولوية، وكذلك فإن اغلبهم معاقين نتيجة اصابات كانوا قد تعرضوا لها في حروبهم مع الغزو السوفيتي، فمثلاً زعيم طالبان الملا محمد عمر كان قد فقد احدى عينيه خلال حرب السوفييت وغيره الكثير، ويغلب الطابع الشبابي على حركة طالبان، اذ نجد أكبرهم لا يتجاوز الاربعينيات من عمره، وهذا يدل على عدم نضج عناصر الحركة وقادتها في الأمور السياسية والحياتية، كما وينحدر اغلب عناصرها من العرق البشتوني وهذا ما يفسر تشددهم(١١).

تتمتع الحركة بعوامل قوة تتمثل بالدوافع القتالية لعناصرها فكل فرد من افراد الحركة يجد نفسه مجاهد في سبيل الله ضد الظلم بفتوى من علماء الدين، فضلاً عن تميزها بالانسجام تحت قيادة واحدة مما جعلها أكثر قوة وتماسكاً، الى جانب العامل الديني الذي كان له الدور الكبير في حصول الحركة على التأييد الشعبي وذلك لتقديس المجتمع الافغاني للدين وعلماء الدين (١٢).

المحور الثاني

هيكل الحركة التنظيمي

كانت حركة طالبان في بدايتها تفتقر الى الاشكال التنظيمية للحركات السياسية والعسكرية، لكن مع ذلك يمكن تلمس جانب من التنظيم داخل هذه الحركة، اذ يعد الملا محمد عمر مجاهد الزعيم الأبرز لها فهو رافق كل مراحل الحركة من الفكرة الى الإمارة وانهيار نظام الحكم والعودة العمل الجهادي، ولقد اتسمت قياداتها بالمركزية ومنحها صلاحيات واسعة لقائدها الذي من الواجب طاعته من قبل الجميع، ويستعين رئيس الحركة بمجالس وهيأت من اجل إدارة شؤون الحركة، من أهمها كان مجلس الحكم المؤقت ومجلس الوزراء والمجلس الجهادي والمجلس المركزي، كما ادارت طالبان امورها في تعتيم شبة شامل في بدايتها[١٣].

ولا تتمتع طالبان بتنظيم قوي، اذ لا يوجد هيكل إداري واضح ينظم شؤونها الداخلية وكذلك لا يوجد بطاقات عضوية لتسجيل أعضائها، اذ أوضحت الحركة بأنها ليست حزباً كباقي الأحزاب ولا تهتم بالنظام الإداري التنظيمي لكن بالرغم من ذلك فهم يملكون هيكلاً شبه تنظيمي يتمثل (بأمير المؤمنين) وهو حاليا هيبة الله اخوند زاده الذي يتمتع بصلاحيات واسعة وله حقوق شرعية لا يجوز مخالفتها، كذلك لا يجوز عزلة حتى الموت الا اذا خالف التعاليم الدينية أو كان عاجزاً عن القيام بمسؤولياته، فضلاً عن وجود مجلس شورى مركزي يكون عدد اعضاءه غير ثابت، اما مجلس الشورى العالي فهو يضم كل القيادات البارزة في حركة طالبان ويكون اعضاءه غير محددون ويوجد للحركة أيضا دار الإفتاء المركزية والتي تضم عدد من العلماء ومقرها في قندهار وظيفتهم الإفتاء في الأمور الشرعية، كذلك توجد في هذه الحركة مجالس شورى التي تكون في الولايات والتي تمنح من خلالها صلاحيات واسعة للولاة في كل ولاية[١٤].

والشورى لدى حركة طالبان معلمة وليست ملزمة، أي إذا استشار امير الحركة مجموعة من الناس يقومون بعرض آرائهم لكن القرار النهائي يكون بيد الأمير، ولا يوجد تحديد لأعضاء مجلس الشورى حتى يكون الأمير حراً في طلب من يريد للمشورة [١٥].

تم تعيين الملا محمد عمر زعيماً واميراً لحركة طالبان رسميا في عام ١٩٩٦، يتمتع امير المؤمنين بجميع حقوق الخليفة ولا يجوز مخالفة أوامره، وبعد وفاه الملا محمد عمر في عام ٢٠١٣ أصبح هبة الله زاده اميراً للحركة، اما مجلس الحكم المؤقت له عدة اختصاصات متمثلة بأدرة الحكم في الولايات التابعة لطالبان وارسال الأوامر لبدء عمليات القتال وكذلك اصدار القرارات التي تخص افراد الحركة [١٦]. في حين يعد المجلس الأعلى من أهم مراكز اتخاذ القرار في حركة طالبان ويضم ١٠ أعضاء ٦ منهم من البشتون وعضو من الطاجيك، وبعد أن استولت طالبان على العاصمة كابل تولى أعضاء هذا المجلس اغلب المناصب في الحكومة وتم حل المجلس تدريجياً فضلاً عن مجلس المشرفين (هيئة الوزراء) الذي يكون مسؤول عن المسائل اليومية ويتم اتخاذ القرارات المهمة من قبل المجلس في قندهار الذي يلغي القرارات التي يتخذها مجلس كابل أحيانا [١٧].

وكانت وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الوزارات في حكومة طالبان اذ عن طريق هذه الوزارة تم اصدار العديد من التوجيهات الدينية للشعب الافغاني وفي مقدمتها ما يخص النساء ولا يمكن الاعتراض على توجيهاتها، ولا يعلوها سوى سلطة امير الحركة [١٨].

ومن الملاحظ إن هناك قيادات ظهرت بقوة في البداية لكنها غابت فيما بعد عن مسرح الاحداث، ومن أهم قيادات الحركة في بداية ظهورها الى جانب الملا محمد عمر كان الملا داد الله وهو القائد العسكري العام لحركة طالبان والذي تم قتله في ٢٠٠٧، وكذلك مولوي جلال الدين حقاني المسؤول عن المناطق الجنوبية الشرقية [١٩].

كان امير الحركة الملا محمد عمر له بصماته واضحة في سياسات طالبان ولقد استمد شرعيته من أربعة عناصر: سمعته في صفوف اتباعه باعتباره مسلماً تقياً، ودوره الفاعل في الجهاد ضد السوفييت، ومعارضته لحكومة وقيادات المجاهدين الذين تسببوا في الفوضى والفساد لأفغانستان، واخيراً نجاحه السريع في السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي الأفغانية، وينتهج الملا محمد عمر أسلوب متشدد في القيادة فهو

يتحكم بالسياسة الخارجية للبلاد، اما القوانين الخاصة بالشؤون اليومية فيدفعها للقياديين المقربين منه، لكن القرار النهائي في الحرب والجبهات يرجع لأمير الحركة فقط [٢٠].

وتعود جذور اغلب قادة حركة طالبان الى ثلاثة ولايات رئيسية وهي قندهار واورزنجان وزابول، وجذورهم تكاد تكون ريفية محافظة لدرجة إن اغلبهم لم يرى المدينة قبل سيطرة طالبان على العاصمة ولو يروا حتى مكتباً أو كرسياً، لذلك يمكن القول إن الحركة كانت ريفية تسعى لترييف التشريعات الدينية والسياسية على وفق المنظور الريفي والقروي الذي جاءت منه، فضلاً عن ضعف تحصيلهم العلمي والديني وهذا يشمل حتى زعيم الحركة الملا محمد عمر الذي كان معاونيه يحرصون على ابعاده عن الأضواء وحجبه عن الأنظار [٢١].

بناءً على ذلك تميزت حركة طالبان في بدايتها بضعف الأداء السياسي وعدم امتلاكها رؤية سياسية تساعدها على المساومة والتفاوض عليها، فقد فرضت على المجتمع رؤيتها الدينية الممزوجة بالعادات والتقاليد البشتونية، وهذا ما سمح للتحالف الشمالي بأن يستعيد زمام الأمور ويعلن المعارضة والحرب ضد طالبان، وكذلك سمحت للتحالف الدولي بالاستفادة من التناقضات القبلية في الداخل الافغاني من اجل السيطرة على أفغانستان واسقاط حكومة طالبان تحت شعارات الحرب على الإرهاب [٢٢].

المحور الثالث

المرتكزات العقائدية لحركة طالبان

لابد من البحث في الفكر الذي تستند اليه هذه الحركة فهي تنتمي للمذهب الحنفي الديوبندي، ذلك الفكر الذي ظهر في الهند منذ القرن التاسع عشر حيث اتخذ اسمه من بلدة ديوبند الهندية، اذ انطلق منها هذا المذهب الذي يتسم بالغلو والالتزام بالمذهب القديم الذي قام بوضعه الشيخ نظام الدين بن قطب السهالوي في القرن الثامن عشر [٢٣].اذ تركت المدارس الديوبندية[*] تأثير كبير على قطاع التعليم الديني في الدولة الأفغانية وذلك من ناحيتين مختلفتين: الأولى كانت باعتماد الحكومة الأفغانية

على خبرة ديوباند في تأسيس المدارس العامة في أفغانستان وذلك عام ١٩٩٥ وتوجه الطلاب الى الدراسة فيها، والثانية ارتباط العديد من المدارس الخاصة في أفغانستان بتقاليد الديوبندية في باكستان وايضا بالمدارس ذات النفوذ العسكري والسياسي خاصة في مرحلة الجهاد ضد السوفييت(٢٤).

تقف المدارس الديوبندية في مرحلة تجاوزها للثقافة الإسلامية منذ مئات السنين، فلا تزال قضية المرأة تشكل مشكلة لديهم فيما يخص تعليمها وتوظيفها، كما انهم يحرمون ويرفضون مختلف أنواع الفنون التعبيرية أو التشكيلية ويحرمون التصوير، أي انهم متوقفون عند عالم الإسلام الذي كان قبل أربعة عشر قرناً ولا يستطيعون التعامل مع متغيرات الحياة بعد ذلك التاريخ، أيضا حاربت هذه المدارس العلوم العصرية والتجديد وامتنعت عن إدخالها ضمن المناهج الدراسية، عناصر طالبان كانوا قد تشربوا مناهج تفكيرهم ومعارفهم من هذه المدراس التي كانت تنتشر في أفغانستان وباكستان(٢٥).

وغالبا ما يتم مقارنة الديوبندية بالوهابية لأنها تجتمع معها في العناية بالحديث النبوي، وتمتاز الثقافة الديوبندية بأنها ثقافة مقاتلة وذلك يعود لكونها وجدت كرد فعل على الغزو التبشيري والفكري الإنكليزي وعلى الاحتلال العسكري في شبه القارة الهندية، ويتدخل النموذج الديوبندي بالحياة السياسية بفاعلية على خلاف النموذج الهندي، لذلك فإن طالبان بمجرد استيلائها على الحكم في أفغانستان جهدت من اجل بناء الدولة بمشروعها الديني (٢٦). وتنتهج المدارس الدينية الديوبندية المنهج التقليدي الذي يمتاز بالجمود في كل الجوانب ابتدأ بالزي مروراً بالمناهج الدراسية وصولاً الى الفكر، فنجد العمامة جزء مهم ولازم في أفغانستان ويرفضون تطوير المنهج الدراسي وإدخال الحداثة فيه ويستندون على المناهج التقليدية القديمة التي اكل عليها الدهر وشرب مما زرع في نفوس طلابها الرفض للتجديد والعصرنة ومعارضتهم للحركات الإسلامية المعاصرة (٢٧).

وتتركز الأيديولوجية التي تتبعها حركة طالبان على التعليم الديني التقليدي ذلك التعليم الذي وضع في المدارس النظامية في بغداد في العصر العباسي، كذلك

ركز اتباع هذه الحركة على علوم الآلة وحفظ المتون والأحاديث من دون تنزيلها على ارض الواقع ودراسة الحاضر والمستقبل، وهذا ما اتضح جلياً من اهتمامهم بالمظاهر الإسلامية كاللحية وبرقع النساء متناسين أو غير مبالين للمشاكل العديدة التي كانت على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي التي كان يعاني منها المجتمع الافغاني بشكل كبير [٢٨].

وعلية تعد حركة طالبان جمعية دينية تفرعت عن جماعة علماء الإسلام الباكستانية التي كانت برئاسة سميع الحق والملا فضل الرحمن، ودرست هذه الحركة في المدارس المجانية المتشددة والمتعصبة والمسماة بالديوبندية التي نشأة عام ١٨٦٧ في الهند، تتبع هذه المدرسة المذهب السني الحنفي، كما ارتبطت هذه الحركة بالجماعات النظيرة لها في باكستان، لذلك فقد تشربت هذه الحركة من أفكار ومبادئ

كانت تلقنها الأحزاب الدينية الباكستانية لقادتها وافرادها، وكذلك زودتها بقاعدة للقيام بعملياتها داخل الأراضي الباكستانية [٢٩].

استقت حركة طالبان ثقافتها الدينية من مصادر عديدة منها تراث الاخوان المسلمين ولاسيما فكرة الحاكمية لله[*] التي كتب عنها سيد قطب، لكن حركة طالبان تختلف عن الاخوان المسلمين في مسألة الديمقراطية، اذ تحرم طالبان الديمقراطية وتعدها كفر لإن فيها إقرار بحق التشريع لغير الله وهم يؤمنون هو المشرع الوحيد ولا تشريع غير تشريعه، وهذا عكس الاخوان المسلمين الذين يعترفون بالديمقراطية المؤسلمة أو المعدلة أي انهم تنازلوا عن فكرة الحاكمية لله واتبعوا الديمقراطية الجاهلية ونبذو الجهاد [٣٠].

إن جذور حركة طالبان الفكرية والعقائدية والاجتماعية لا تختلف عن التيارات المتشددة والمحافظة في العالم الإسلامي اذ ترتكز هذه الحركة على العلوم التراثية وليست العلوم التجريبية والمدنية، وتركيبتها المجتمعية متشددة ومحافظة لاسيما في المسائل المتعلقة بالمرأة، وتقوم على الهرمية المبنية على درجة العلم الديني والشرعي ويحظى علمائهم بسلطة ونفوذ كبير في قلوب اتباعهم ويتميز بنيانهم المعرفي بالتماسك والسيولة الفكرة

والصلابة، فضلاً عن تشدد هذه الحركة الاجتماعي فهي تتميز بالقبلية ذات اللغة والثقافة الواحدة [٣١].

استناداً لذلك يمكن القول إن هناك أربعة آراء مختلفة حول المرتكزات الفكرية والعقائدية لحركة طالبان، الرأي الأول يرى بإن افكارها الدينية تقوم على الشريعة الإسلامية وانهم بدأوا حركتهم من اجل تطبيق الشريعة نتيجة ابتعاد حكومة المجاهدين عن الشريعة الإسلامية، والرأي الثاني يرى إن أفكارهم مأخوذة من المدراس الديوبندية التي تكون عقائدها تشبه نوعا ما عقائد الوهابية وتختلف عن عقائد اهل السنة والمذهب الشيعي، فهم يحرمون الشفاعة والتوسل بأئمة المسلمين ويعارضون زيارة قبورهم ويعتبرون ذلك شركاً وأثماً، ويمتنعون عن تكريم الرسول (صلى الله علية واله وسلم) في ذكرى مولده ووفاته ويعتبرون الاعتقاد بعلم الرسل للغيب شرك وغير جائز، اما الرأي الثالث يجد إن عقيدة طالبان مستسقاة من الوهابية ويعتقدون بأنها تريد تطبيق المشروع الوهابي لاسيما موضوع معارضتهم للأحزاب والأعلام واجراء الانتخابات، ويحرمون كل شيء جديد وعصري مثل مشاهدة التلفاز، وأن الدعم السعودية لهذه الحركة في بداية نشأتها كان لميولها نحو الفكر والمعتقد الوهابي، اما الرأي الرابع فيسند المرتكزات الفكرية لهذه الحركة الى المعتقدات القبلية والقومية أو ما يطلق عليه (البشتونوالي)[*] أي إن عقيدة طالبان هي خليط من التقاليد والمعتقدات القبلية والقومية للبشتون، وبالمقارنة بين الآراء الأربعة لعقيدة حركة طالبان نصل الى انها خليط من القراءات السطحية للمعتقدات القبلية للبشتون وللشريعة الإسلامية فهم يعتقدون بإن العقائد الدينية تتبع القبلية ويعملون بذلك بأحيائهم للتقاليد البشتونية في الدولة الأفغانية، وفرضوا على الناس الاخذ بها بالقوة باعتبارها قوانين الشريعة الإسلامية، وهذا يفسر لنا إن الأفكار الدينية لطالبان مركبة من

الأفكار الوهابية التي تتسم بالتشدد والميول الصوفية والخشونة وكذلك معتقداتهم القبلية المجتمعية، فضلاً عن تعاليم المدراس الباكستانية المشابهة للوهابية [٣٢].

ظهرت طالبان بعد الخلافات والصراعات التي حدثت بين المجاهدين حول من يتولى السلطة في أفغانستان، فضلاً عن انتشار الفساد والفوضى مما فتح المجال لظهور حركة جديدة على الساحة الأفغانية تستند على طلاب المدارس الدينية وهي حركة ظهرت عم ١٩٩٤ واستطاعت السيطرة على ٩٠% من الأراضي الأفغانية في عام ١٩٩٦[٣٣].

أعطت التجربة الأولى لحركة طالبان ١٩٩٦-٢٠٠١ انطباعاً بتقديمها للمذهب والفقه الحنفي تقديماً متطرفاً، اذ تفصل طالبان بين متغيرات الزمان وثوابت المذهب فهي تلتزم بالثوابت وتجتهد بالمتغيرات حسب البيئة والزمن، وتصرح سلطة الفقهاء في هذه الحركة على إن غالبية قادة الإمارة فيها هم من العلماء، فضلاً عن تسرب القيم البشتونية القبلية في سلوكهم العملي خاصة فيما يتعلق بشأن التعامل مع المرأة فهو على خلاف مع احكام فقه المرأة في الفقه الحنفي [٣٤].

ورغم إن حركة طالبان لم تصل للسلطة عن طرق انتخابات ديمقراطية لكنها حصلت على دعم ورضا شعبي واسع، وذلك يعود للمرتكزات الشرعية التي حظيت بها اذ ان غالبية أعضاءها من البشتون الذين يشكلون نسبة كبيرة من الشعب الافغاني، كما وأنها استطاعت تحقيق الأمن الذي كان يفتقر اليه الأفغان بسبب الصراعات بين حكومة المجاهدين والفوضى وتفشي الفساد الذي كان سائد في أفغانستان[٣٥].

وسرعان ما انهارت حركة طالبان على يد التحالف الدولي عام ٢٠٠١ بعد التفجيرات التي اتهمت بتنفيذها القاعدة على الولايات المتحدة الامريكية، ومنذ ذلك الوقت عاشت حركة طالبان حالة صراع عسكري مع قوات الاحتلال لحين توقيعها الاتفاق السياسي مع الولايات المتحدة الامريكية في الدوحة، ولكن بالرغم من الإنجاز السياسي الذي حققته طالبان الا ان هناك العديد من التحديات المستقبلية التي تواجهها اليوم [٣٦].

لذا جاءت احداث ١١ أيلول ٢٠٠١ لتكون الحد الفاصل في قيام الولايات المتحدة باحتلال أفغانستان بعد رفض حركة طالبان تسليم أسامة بن لادن المتهم من قبل الولايات المتحدة الامريكية بالتفجيرات التي حدثت في واشنطن ونيويورك عام ٢٠٠١ (٣٧).

استناداً لذلك يمكن القول بإن تطرف طالبان كان إسلامي بحت وكان للعادات والتقاليد القبلية والأعراف الدور الكبير في تطرفها.

الخاتمة

تأسيساً على ما سبق يمكن القول إن حركة طالبان في تجربتها الأولى للحكم ١٩٩٦-٢٠٠١، قدمت الدين الاسلامي والفقه الحنفي بشكل متطرف وعملت على فصل ثوابت هذا المذهب عن متغيرات الزمان، فضلاً عن تأثرها سلوكياً بشكل كبير بأسلوب القاعدة وداعش، وايضاً كان للقيم القبلية البشتونية والبيئة الجبلية القاسية التي نشأة فيها هذه الحركة دوراً كبيراً في التأثير على السلوك العملي لطالبان خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة وذلك خلافاً لأحكام فقه المرأة في المذهب الحنفي، وهناك من يرى إن هذه الحركة كانت مشروعاً قبلي اتخذ من الدين غلافاً له وذلك بتحويله طلاب المدارس الدينية الى مقاتلين، فضلاً عن ترويض الوهابية السلفية وجعلها داعماً مادياً رئيسياً لها على الرغم من إن الحركة ليست سلفية وانما تستمد افكارها من المدارس الديوبندية.

كما إن الحركات المتطرفة لطالما قادت الدول الى التفكك والدمار وتأخر تطورها وتقدمها، وتُعد خصماً من اعمار المجتمعات والشعوب والدول، كما إن الحركات المتطرفة غالبا ما تصل الى السلطة بطرق غير نظامية وديمقراطية وتتبنى ايديولوجيات مغلقة وتدعي امتلاكها للحقيقة وتكون استبعادية في سلوكها السياسي ولا تسمح للآخرين بمشاركتها وأيضا تُقسم المجتمع الى قسمين من هم معها ومن هم ضدها، وطالبان لا يتوقع منها أن تكون استثناء عن هذه الحركات كما لا يمكن توقع استقرارها

في حكم أفغانستان الا اذا غيرت أو تخلت عن ايديولوجيتها السياسية وتحولت الى حكومة ذات اجندة وطنية معتدلة، ومع ذلك فليس من المتوقع لها أن تحقق الرضا والقبول المجتمعي والدولي خاصة وانها قد ورثت نظام مثقل بالأزمات المتوارثة والفساد الذي ليس من السهل عليها معالجته، لذلك فإن المجتمع الدولي يترقب الى اليوم الخطوات المستقبلية للحركة فيما يتعلق بإدارتها للدولة الأفغانية، ورغم سعى طالبان لتقديم وجهاً معتدلاً لممارساتها الداخلية والخارجية الا إن الممارسة العملية على أرض الواقع ستكون هي الفيصل الأساسي الذي يحدد ما اذا كانت قد تغيرت بالفعل من الناحية الفكرية والسلوكية، ام إن ذلك كان مجرد تغير شكلي بهدف تحقيق مصالحها المتمثلة بالسيطرة على أفغانستان والحصول على الاعتراف الدولي، بذلك تبقى مقولة تطوير الحركة لنموذجها فاقدة لأي أساس فلا يمكن لطالبان تغيير نموذجها وسياستها خاصة بعد انتصارها وهزيمتها للقوى العظمى في العالم وأصبحت اليوم القوى التي يتم التعامل معها لاعتبارات عملية، وحتى لو طورت طالبان من نهجها فسيكون هذا التطور شكلي ووقتي وليس دائم.

الهوامش

(١) فهمي هويدي، طالبان جند الله في المعركة الغلط، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٩٨.

(٢) إسماعيل محمد عامر، طالبان في طريقها لحكم أفغانستان، ط١، مكتبة النور، مصر، ٢٠٢١، ص ٣٢.

(٣) مطيع الله تائب، أفغانستان: عودة طالبان واحتمالات المستقبل، ط١، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ٢٠٠٨، ص ٣٠.

*ملا محمد عمر مجاهد: وهو زعيم حركة طالبان ولد في مدينة ترتكوت عام ١٩٥٤، ينتمي الى المدرسة الديوبندية، اختارته حركة طالبان ليكون اميراً بها في ١٩٩٤ ولقب بأمير المؤمنين، وكان الرئيس الأفغاني الحادي عشر تحت مسمى المجلس الأعلى في مدة حكم جركة طالبان ٢٩٩٦-٢٠٠١، فضلاً عن كونه أحد أهم المطلوبين للولايات المتحدة الأمريكية حتى وفاته عام ٢٠١٣. للمزيد من التفاصيل ينظر: خالد عكاشة، امراء الدم: صناعة الإرهاب من المودودي وحتى البغدادي، ط١، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤، ص٢٩٧.

(٤) احمد موفق زيدان، صعود طالبان: طالبان الامارة الثانية، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٨.

(٥) محمد الهادي الحناشي، العاصفة والعمامة: أفغانستان جمهورية بلا نصر وامارة بلا هزيمة، ط١، دار مدارك للنشر، دبي، ٢٠١٣، ص٥٦.

(٦) فهمي هويدي، طالبان جند الله في المعركة الغلط، مصدر سبق ذكره، ص ص ٩٩-١٠٠.

(٧) عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، ٢٠١٥، ص ص ٦٩-٧٠.

(٨) محمود محمد علي، الابعاد الحقيقية للغزو الأمريكي لأفغانستان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٧، ص٢١.

(٩) شاكر النابلسي، بن لادن والعقل العربي: كيف فكر العرب بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ط١، الجمل للنشر والاقتباس، كولونيا المانيا، ٢٠٠٧، ص٣٣.

(١٠) محمد الهادي الحناشي، العاصفة والعمامة: أفغانستان جمهورية بلا نصر وامارة بلا هزيمة، مصدر سبق ذكره، ص٨٨.

(١١) احمد موفق زيدان، صعود طالبان: طالبان الامارة الثانية، مصدر سبق ذكره، ص٣٧.

(١٢) مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان أفغانستان من حلم الملا الى امارة المؤمنين، ط١، معهد الدراسات السياسية، باكستان، ١٩٩٧، ص ص ٨١-٨٢.

(١٣) مطيع الله تائب، عودة طالبان واحتمالات المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٢-٣٣.

(١٤) إسماعيل محمد عامر، طالبان في طريقها لحكم أفغانستان، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.

(١٥) مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان أفغانستان من حلم الملا الى امارة المؤمنين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

(١٦) مروة حامد البدري واخرون، نشأة وتطورات الجماعات الجهادية في أفغانستان، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، العدد١، كلية التجارة وإدارة الاعمال، جامعة حلوان، ٢٠٢٠، ص ٣٤.

(١٧) محمد سرافراز، حركة طالبان من النشوء الى السقوط، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(١٨) زيد بن رفاعة، طالبان من النشأة الى انهيار الامارة، صحيفة اراء العرب، العدد ١١٢٨٢، لندن، ٩-٣-٢٠١٩، ص٨.

(١٩) مطيع الله تائب، أفغانستان: عودة طالبان واحتمالات المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٣-٣٤.

(٢٠) محمد الهادي الحناشي، العاصفة والعمامة: أفغانستان جمهورية بلا نصر وامارة بلا هزيمة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢١) توفيق شومان، حركة طالبان: النشأة الفكرية وتجربة السلطة، مجلة شؤون الأوسط، العدد ١٠٥، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت شتاء ٢٠٠٢، ص ص٢٧٨-٢٧٩.

(٢٢) شفيق شقير، الازمة الأفغانية، مصدر سبق ذكره، ص١٧١.

(٢٣) احمد موفق زيدان، صعود طالبان: طالبان الامارة الثانية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

الاتجاه الديوبندي: وهو نسبه الى جامعة إسلامية ذائعة الشهرة تسمى دار العلوم ديوبند والتي تُعد من أكبر الجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية، تم انشائها عام ١٨٦٧ في مدينة ديوبند الهندية. للمزيد من التفاصيل ينظر: مصباح الله عبد الباقي، المدارس الدينية في باكستان/ ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٤٥.

(٢٤) كاجا بور شجريفنك وآخرون، الروابط عبر الوطنية لمدارس أفغانستان: مشكلات ومضامين اصلاح التعليم الديني، مجلة المستقبليات، العدد١، مركز مطبوعات اليونسكو، اذار ٢٠١٣، ص١١٢.

(٢٥) فهمي هويدي، طالبان جند الله في المعركة الغلط، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦.

(٢٦) شفيق شقير، الازمة الأفغانية، مجلة شؤون الأوسط، العدد ١٠٥، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، شتاء ٢٠٠٢، ص ص١٧٢-١٧٣.

(٢٧) مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان أفغانستان من حلم الملا الى امارة المؤمنين، مصدر سبق ذكره، ص٦١.

(٢٨) احمد موفق زيدان، صعود طالبان: طالبان الامارة الثانية، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٣٨.

(٢٩) شاكر النابلسي، بن لادن والعقل العربي: كيف فكر العرب بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.

* يُعد مبدأ الحاكمية أو توحيد الحاكمية أحد أبرز المصطلحات الدينية التي اتخذتها المذاهب والتيارات الإسلامية في تأصيل موقفها من الحكم والحاكم ومؤسسات الدولة كافة، ورفض بعض تلك الجماعات الاشتغال بالعمل السياسي في البرلمان كونه يشرع قوانين من وضع الإنسان وهي شكل من أشكال منازعة الله في إحدى اختصاصاته في التشريع. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسام الحداد، خطاب العنف والدم في الفقه الإسلامي، ط١، دار ابن رشد، إسطنبول، ٢٠١٨، ص٧٨.

(٣٠) شاكر النابلسي، بن لادن والعقل العربي: كيف فكر العرب بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، مصدر سبق ذكره، ص ص ٥٧-٥٨.

(٣١) أكرم الحفيان، جذور حركة طالبان، مجلة كلمة حق، العدد ٢١، نيسان ٢٠١٩، ص ص ١٩ و٢١.

*البشتونوالي: وهي مجموعة من القوانين التي تعمل على تنظيم حياة البشتون ومن بينها الأرث وهدر الدم الذي يكون رائج بشكل كبير لدى البشتون، ويؤكد على الكرم والضيافة والشجاعة، ويخالف بعض الأمور الدينية مع الشريعة الإسلامية مثل اثبات الزنا للمحصنة وورث المرأة وغيرها، فالبشتونالي هو ليس من يتكلم لغة الباشتو وانما هو من يلتزم بسلوك الباشتو. للمزيد من التفاصيل ينظر: ميشيل برودو: أوراسيا: قارة-امبراطورية: أيديولوجيا أو مشروع، ترجمة: معاوية سعيدوني، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠٢١، ص ٣٥٠.

(٣٢) محمد سرافراز، حركة طالبان من النشوء الى السقوط، ط١، دار الميزان، بيروت لبنان، ٢٠٠٨، ص ص ١١٤و١٢٥.

(٣٣) أكرم عبد الله الجميلي، الأحزاب والحركات السياسية في أفغانستان وأزمة السلطة ١٩٦٥-١٩٩٤، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص١٤٧.

(٣٤) عبد الأمير كاظم زاهد، طالبان القبيلة والدولة والدين: قراءة في المكونات الأصولية والسياسيات، ط١، مركز الرافدين للحوار، العراق، ٢٠٢١، ص٥٢.

(٣٥) كوثر طه ياسين، المنازعات والحروب الاهلية في العالم الثالث (الصومال وافغانستان)، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣١، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، تموز ٢٠٠٥، ص١٤٠.

(٣٦) اوراد محمد مالك كمونة، الحكم في أفغانستان بين المصالح والقانون الدولي الإنساني، مجلة دراسات دولية، العددان ٨٩-٩٠، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، ٢٠٢٢، ص٢٦٤.

(٣٧) نادية فاضل عباس فضلي، السياسة الخارجية الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٥، مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية، جامعة بغداد، تموز ٢٠١٠، ص٤١.

قائمة المصادر

اولاً: الكتب العربية

١- احمد موفق زيدان، صعود طالبان: طالبان الامارة الثانية، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.

٢- إسماعيل محمد عامر، طالبان في طريقها لحكم أفغانستان، ط١، مكتبة النور، مصر، ٢٠٢١.

٣- شاكر النابلسي، بن لادن والعقل العربي: كيف فكر العرب بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ط١، الجمل للنشر والاقتباس، كولونيا-المانيا، ٢٠٠٧.

٤- عبد الأمير كاظم زاهد، طالبان القبيلة والدولة والدين: قراءة في المكونات الأصولية والسياسيات، ط١، مركز الرافدين للحوار، العراق، ٢٠٢١

٥- عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، ٢٠١٥.

٦- فهمي هويدي، طالبان جند الله في المعركة الغلط، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١.

٧- محمد الهادي الحناشي، العاصفة والعمامة: أفغانستان جمهورية بلا نصر وامارة بلا هزيمة، ط١، دار مدارك للنشر، دبي، ٢٠١٣.

٨- محمد سرافراز، حركة طالبان من النشوء الى السقوط، ط١، دار الميزان، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨.
٩- محمود محمد علي، الابعاد الحقيقية للغزو الأمريكي لأفغانستان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٧.
١٠- مطيع الله تائب، أفغانستان: عودة طالبان واحتمالات المستقبل، ط١، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ٢٠٠٨.
١١- مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان أفغانستان من حلم الملا الى امارة المؤمنين، ط١، معهد الدراسات السياسية، باكستان، ١٩٩٧.

ثانياً: المجلات العلمية

١- أكرم الحفيان، جذور حركة طالبان، مجلة كلمة حق، العدد ٢١، نيسان ٢٠١٩.
٢- اوراد محمد مالك كمونة، الحكم في أفغانستان بين المصالح والقانون الدولي الإنساني، مجلة دراسات دولية، العددان ٨٩-٩٠، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، ٢٠٢٢.
٣- توفيق شومان، حركة طالبان: النشأة الفكرية وتجربة السلطة، مجلة شؤون الأوسط، العدد ١٠٥، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت شتاء ٢٠٠٢.
٤- زيد بن رفاعة، طالبان من النشأة الى انهيار الامارة، صحيفة اراء العرب، العدد ١١٢٨٢، لندن، ٩-٣-٢٠١٩.
٥- شفيق شقير، الازمة الأفغانية، مجلة شؤون الأوسط، العدد ١٠٥، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، شتاء ٢٠٠٢.

٦- كاجا بور شجريفنك وآخرون، الروابط عبر الوطنية لمدارس أفغانستان: مشكلات ومضامين اصلاح التعليم الديني، مجلة المستقبليات، العدد١، مركز مطبوعات اليونسكو، اذار ٢٠١٣.

٧- كوثر طه ياسين، المنازعات والحروب الاهلية في العالم الثالث (الصومال وافغانستان)، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣١، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، تموز ٢٠٠٥.

٨- مروة حامد البدري واخرون، نشأة وتطورات الجماعات الجهادية في أفغانستان، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، العدد١، كلية التجارة وإدارة الاعمال، جامعة حلوان، ٢٠٢٠.

٩- نادية فاضل عباس فضلي، السياسة الخارجية الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٥، مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية، جامعة بغداد، تموز ٢٠١٠.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

١- أكرم عبد الله الجميلي، الأحزاب والحركات السياسية في أفغانستان وأزمة السلطة ١٩٦٥-١٩٩٤، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٧.